هنري كيسنجر والصراع في الشرق الأوسط

الاستراتيجية الأمريكية في تعطيل الحلول والاستمرار في إدارة الأزمات

ليس من مصلحة أمريكا أن تصل الأزمة إلى موقف الحل بل يجب أن تبقى في نفس حالة الاحتقان

(ليس هناك اصدقاء ابديون أو أعداء ابديون ولكن هناك مصالح أبدية. ان كل رئيس أمريكي منذ فرانكلين روزفلت في الثلاثينيات إلى رتشارد نكسون في السبعينيات قد عبر بأقوى الكلمات عن حيوية المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط عامة وفي العالم بوجه خاص.

لقد وصف الرئيس ايزنهاور هذه المنطقة بانها أقيم قطعة عقار في العالم.

ان الشرق الأوسط هو الجسر الذي يربط بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ولقد ولد على ترابه كبار الرحالة والتجار وجابت ارجاءه جيوش الغزاة والفاتحين على مر العصور. ثلاثة من الأديان العالمية نشأت هناك .. وتحت أرضه يرقد أكبر مخزون من احتياطي العالم المعروف من البترول ـ الذهب الأسود الذي نعتمد عليه في عصر الآلة 1956م).

نجمي عبدالمجيد

السياسة الأمريكية لا ترى في الشرق الأوسط إلا حقول غاز ونفط وممرات بحرية يجب أن تكون كلها في إطار نفوذها

من ملامح الرؤية في هذا الأمر نجد السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط ترى في النفوذ هو التواجد الدائم لكن هناك تصورات ومشاريع تفرض حسب المراحل ولها آليات عمل وعقليات هي من يخلق حركة التاريخ في هذا الجانب.

وحين نقف عند بعض المحاور في فكر هنري كيسنجر نحو هذه المنطقة نرى في الفعل انعكاساً للنظرية فهو ممن صنعوا مقدرة الاستمرار لأمريكا في ظل صنع الأزمات وهي هنا عامل حضور تتحرك خيوطه دون أهداف قاطعة تذهب نحو الحلول، بل ترى هذه هذه العقلية ان الحل هو اضعاف دور أمريكا في الشرق الأوسط لكن تصاعد الأزمة يشكل المحور الفاعل في سحب كل مخارج الحلول من قيادات المنطقة والتي جعلت منها رؤية سياسة إدارة الأزمات حالات من فقدان المبادرة حتى عند أبسط درجة المحاولة.

في قراءة تحليلية لشخصية كيسنجر يقول الدكتور سعد الدين إبراهيم في كتابه «كيسنجر وصراع الشرق الأوسط»: (ان أهم عنصر يقفز إلى المقدمة عند تحليلنا لشخصية كيسنجر هو الحاجة إلى الانجاز ان طموح كيسنجر كان وما يزال هو أن يترك بصمته المميزة على العملية التاريخية. ان فهمه الذاتي لدوره هو انه وكيل واداة لتيار معين في التاريخ المعاصر. قال كيسنجر في وصف أدارة نكسون عند تسلمها الرئاسة في أوائل سنة 1969م وهو كأحد أقطابها.

لقد جاءت هذه الادارة إلى الحكم في لحظة سيعتبرها المؤرخون خطأ فاصلا بين عهدين في سياسة أمريكا الخارجية.

هذه العبارة على دلالاتها في تضخيم الذات تعتبر معتدلة ومتواضعة كمؤشر لجذور الحاجة إلى الانجاز في شخصية كيسنجر).

مما تتمثل فيه سياسة كيسنجر العمل عبر المسار الهادئ في جعل المصلحة هي القاعدة والعقيدة جزء من هيمنة الادارة الأمريكية على المنطقة.

العالم في نظر هذه القوى الكبرى ما هو إلا حسابات السيطرة الاقتصادية والنفوذ السياسي والهيمنة العسكرية والتي يجب ان تبقى عجلة صناعاتها في حركة دائمة لان القوى القاهرة في عرف عقيدة كيسنجر هي من يعلم ويعرف الشعوب بأن إنزال أكبر قدر من الضرب ضد الخصم يرفع درجة الخوف عند الخصم الآخر.

هنا وضع كيسنجر مقولة وهي: (حين تعجز لغة الحوار تتكلم لغة السلاح).

يعني هذا القول: ان الأزمة وان سقطت عنها الحلول على طاولة الحوار عليها ان تترك المجال للقوى العسكرية.

هنا ندخل في فلسفة صناعة الموقف القاهر والذي لا يترك للطرف الآخر سوى اما الدمار أو الاستسلام.، وعند وصول الأمر إلى حد الاختناق لوضع السياسة الأمريكية، تعاد الأوضاع لطاولة الحوار، ولكن دون وضع الحلول النهائية لان من مصلحة سياسة الردع في القانون الأمريكي كما يراها كيسنجر عدم الخروج من الدوائر المغلقة.

ويقول الدكتور سعد الدين ابراهيم في نفس المرجع: (يقول جيرار شاليان: ان كيسنجر يمثل دخول الوعي التاريخي إلى قلب الدبلوماسية الأمريكية ودخول فلسفة العلاقات فيما بين الدول ودخول رؤية تعرف كيف تدمج عناصر الواقع المعقد. والذي قصده شاليان هنا ان كيسنجر قد أعاد الولايات المتحدة إلى مرآة التاريخ أي الرؤية الذاتية وساعد سياسييها الذين قرؤوه على الأقل، على ان يروا بلدهم من خلال منظور معين ذي استمرارية جدلية يتداخل فيه الماضي بالحاضر ليفرز امكانيات مستقبلية عديدة وان على صناع القرار الأمريكي، والأمر كذلك ان يختاروا من بين هذه الامكانيات ما يتفق ومصلحتهم القومية من بدائل).

وحين تتجه الرؤية نحو الشرق الأوسط وأهمية المصالح الأمريكية فيه نجد ان سياسة هنري كيسنجر قد عملت على رسم نوعية المسارات في هذا الجانب ويمكن ان تقسم في الاتجاه الأول في هذه النقاط:

1 ـ تغير الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة نفسها.

2 ـ تغير الأوضاع والظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة ـ الشرق الأوسط.

3 ـ تغير صناع القرارات وراسمي السياسة الأمريكية أنفسهم.

أما الاتجاه الثاني فقد حدد في النقاط التالية:

1 ـ المحافظة على إسرائيل قوية عسكرياً واقتصادياً.

2 ـ ضمان تدفق النفط العربي للولايات المتحدة وحلفائها كضرورة استراتيجية.

3 ـ ضمان طرق النقل والمواصلات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وما حولها براً وبحراً وجواً.

4 ـ منع أي قوة عالمية منافسة للولايات المتحدة من السيطرة على المنطقة أو على الأقل تقليص مثل هذا النفوذ واحتوائه ان وجد.

5 ـ حماية المصالح البترولية الأمريكية في المنطقة كضرورة اقتصادية.

6 ـ تنظيم العلاقات التجارية والمالية مع دول المنطقة بحيث تتحول إلى توابع اقتصادية تدور في فلك الولايات المتحدة.

7 ـ امتصاص ما يسمى بالفوائض المالية العربية الناتجة عن رفع سعر البترول وذلك كضرورة مالية لصحة الاقتصاد الأمريكي.

عند دراسة كل هذه النقاط، مما نخرج به هو عدم استقرار المنطقة عبر هيمنة أمريكا.

ان احتكارات صناعة السلاح وهي من روافد الاقتصاد الغربي ترى في تصعيد الأزمات وخلق الصراعات على أكثر من محور من دعائم تواجدها في أكثر من مكان في العالم. وان الشرق هو مركز الثقل في المصالح الأمريكية.

هنا وضع كيسنجر فعل دوام الاهتزاز في هذا المكان وهي نظرية تعتمد على عدم القدرة في صنع الاستقرار وهو ما يوجد الأرضية الرخوة التي لا تعرف الأمن أو البناء وجر الدول إلى صراعات داخلية وخارجية إلى حد الافقار في قدراتها التنموية. وكانت منطقة الشرق الأوسط من المناطق التي لعبت فيها سياسة كيسنجر اقوى الأدوار لان الواقع يساعد على التطبيق.

وكما تطرح رؤية سياسية في هذا الجانب، فقد قامت سياسة أمريكا على ثلاث مسلمات وهي:

1 ـ القدرة العسكرية الاسرائيلية التي لا تقهر.

2 ـ العجز العربي عسكريا.

3 ـ الانقسام العربي سياسياً. ومن جوهر هذا الصراع تخرج تصورات مختلفة في ادارة أزمات المنطقة ومنها تفجير المجتمعات من الداخل أي احداث حروب أهلية تعمل أمريكا على تغذيتها من الداخل وتحريكها من الخارج. ومن هذه الطرق بدلاً من القتال بين العرب واسرائيل حول فلسطين ليكن القتال بين العرب انفسهم وكانت حرب لبنان الأهلية منذ عام 1975م حتى اليوم من التجارب المدمرة في المنطقة وتوسعت هذه النظرية لتدخل فيها بعد ذلك العراق وسوريا والصومال والسودان واليمن، وتصاعدت الخلافات حول الحدود بين المغرب والجزائر وايران ودول الخليج العربي وقد نقلت هذه النظرية والتجربة عن الحرب الفيتنامية وعمدت فيها فكرة سياسة تعريب الصراع في الشرق الأوسط، وهذا يعرف ايضاً سياسة الابتزاز العسكري بالوساطة، ومذهب كيسنجر ونكسون والذي مازال يعمل في الشرق حتى اليوم.

وهذا الموقف يصنع محاور اخرى تخدم أهداف أمريكا في الشرق الاوسط ونلاحظ هنا تبدل الاساليب على الأهداف والتي تعد ثوابت قائمة مهما وصلت حدة كسر الأزمات للمصالح وهي تدور حول محور الشرق الأوسط، وقد وضعت أبعادها في هذه الزوايا:

1ـ تبديد أو عرقلة العمل العربي المشترك عسكرياً واقتصادياً سواء القائم منه حالياً أو المحتمل مستقبلاً.

2ـ رأب التصدع الذي حدث في علاقة الولايات المتحدة بحلفائها، وتنسيق جهودهم في جبهة واحدة مشتركة سياسياً ونفطياً بزعامة الولايات المتحدة وإقرار خطة يرضى عنها هؤلاء الحلفاء للمشاركة في النفط المتوفر في حالات الطوارئ.

3ـ خلق تصدع في العلاقات وروسيا وهو ما كان عليه الحال في فترة الاتحاد السوفيتي، وهو ما يعزز أن سياسة الحرب الباردة لم تخرج من حلبة الصراعات وما زالت روسيا من دول محور المواجهة من العرف السياسي القائم قاعدة الصدام، والنظر للتحرك الروسي نحو المنطقة من منطلق الاعتداء على مصالح الغرب.

4ـ الاستمرار في تقوية إسرائيل عسكرياً واقتصادياً كعامل ردع للعرب من ناحية، وحتى لا تلجأ الولايات المتحدة للتدخل بشكل سافر في الحرب القادمة من ناحية أخرى.

عبر قراءة هذه المحاور المتعددة، ظلت من المرتكزات الهامة مسألة الحفاظ على أمن إسرائيل وقوتها العسكرية.

وهو ما ظهر في حرب 1973م حين طلبت إسرائيل من كيسنجر أن يلعب دورا في قلب نتائج الحرب وإخراج إسرائيل من مأزق الهزيمة، لينقل بعدها المعركة من الساحات إلى طاولات الحوار، وهو جزء من عقيدة كيسنجر تعليق الأمور دون مخارج حاسمة بل وضع مسار السلام مع إسرائيل بدلاً عن الصراع مع مصر كي يفتح جبهات أخرى مع دول لم تكن في منزلة هذه الدولة العربية صاحبة المحور الاول في مسار الأحداث في الشرق، مما أحدث عدة اختلالات في أشكال المواجهة وعبر اتجاهات عقائدية وسياسية وعسكرية كانت من دائم الصراع مع إسرائيل.

من أطروحات العمل الفكري التي تعمل عليها مراكز الدراسات والبحوث العلمية والاستراتيجية في امريكا، والذي يعد الدكتور هنري كيسنجر أحد أعمدة الإسهام فيها، ما قدم على طاولة الأبحاث حول الشرق الأوسط، ومنها دراسات حول تصعيد الصراعات المذهبية والدينية والعرقية وغيرها من جزئيات التشقق المدمر، حيث نرى الأمة الواحدة وقد ذهبت فيما ذهبت إليها شعوب عربية وإسلامية نحو الحروب الأهلية، وهي من نظريات كيسنجر في تفجير المجتمع من الداخل.

فمن الإدراكات في هذه النظرية السياسية نحو الشرق الأوسط ، ترى فيها مجتمعات لم تعد تملك عناصر الوحدة الداخلية فيها، بل هي حالات من التصاعد في التكسر وفقدان الهوية الجامعة، بل تحولت أشكال وتعدد الاختلاف في بعض الانتماءات إلى قوة ضغط تعمل على توسيع التصدعات في المجتمع حتى انهارت كل دعائم القوة فيه، ونحن نرى درجات التشرذم المحرقة التي عمت عدة دول عربية وإسلامية حتى وصلت مستويات العجز فيها إلى حد المستحيل في وضع المخارج لكل هذا الخراب، ونحن هنا نرى ما طرحه فعلياً هنري كيسنجر يتسع في صور المشهد العام في الواقع العربي إلى حد الوصول لدرجة أن هذا العقل هو من أعاد صياغة مصائر أمم الشرق وهو القدر المطلق.

حين نعود إلى أول الكلام هذا، ونشاهد ما يحدث اليوم على طول خارطة الشرق الأوسط، ندرك أن لأمريكا من عقليات صناعة القرار ما عزز حضورها الفاعل في عالمنا العربي والإسلامي.

لقد عملت عقلية هنري كيسنجر وهو من دهاة فكر صناعة الأزمات وتعليق المخارج واللعب في اوراق الحوار على طاولات المفاوضات، وتحويل المواقف الصلبة في حقوق المصائر إلى حالات رخوة تلعب بها المصالح والأغراض الأمريكية وترحيل ملفات الشعوب من حالة إلى حالة حتى وصلت العديد منها إلى درجة الصفر في الموقف الحازم.

لقد أدرك كيسنجر أن الشرق الأوسط، يجب أن تصنع فيه الحروب لكن ليست كلها عبر السلاح، ولعل نظرية الإفقار الاقتصادي وصناعة الجوع هي أشد الأفعال المساعدة على تواجد السياسة الأمريكية كعامل فاعل ومحرك في الإمساك بصناعة القرار، الحرب ليست هي الحسم العسكري، بل توسيع حلقات الفوضى والهزائم التي تكسر نفسية الشعوب وجعلها في دائرة الأغلاق عند حدود الخط المغلق.

ومنذ عقود لعبت وعملت رؤية كيسنجر في هذا الحقل في الشرق، وفي إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد وخروج مركزية القرار عن قيادة العرب، لا شك بأن كيسنجر مفكر ذكي وإستراتيجي ماهر وصاحب مذهب متكامل في العلاقات الدولية، وخلق مدرسة في السياسة الأمريكية لها أصول وقواعد في التعامل مع أزمات المنطقة التي تعاني من فراغ شديد في التحكم بمصائرها، ونقل حقوق العمل إلى مراكز الغرب، وفي هذا تصبح النهايات من صناعة الغير.

تصاعد الصراعات في المنطقة يدخل في جوهر التلاعب في عقليات الشعوب وجعلها غير مدركة على أية أرضية تقف

صناعة الحروب في المنطقة هي الطريق المفتوح لجعل الحضور الأمريكي قوة فاعلة في الشرق